Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

The absence of women in Jarir's poetry

Khalida Ahmed Abed
Department of Arabic Language/ College of Art/University of Mosul/ Mosul - Iraq

Nuha Mohamed Omar
Department of Arabic Language/ College of Art /University of Mosul/ Mosul - Iraq

Article Information

Article History:
Received May29, 2024
Revised June 12 .2024
Accepted June 30, 2024
Available Online March1 , 2025

Keywords:
Texts,
Poet,
Significance

Correspondence:
Khalida Ahmed Abed
khleda.20arp154@student.uomosul.edu.iq

Abstract

The research comes as a trying for Studying and collecting some absence elements in the poetry of Jareer which hold inside of it's meaning ideal and Philosophic Signs through some vocabularies that indicate to the absent of ideal words or Semantic. Because the text holds inside of it some elements of Presence and other of absence absent So we have remembered the elements of the Poetic text because we think that is very important to understand the Present elements and taste it as well as understanding their meanings and Signs which open dimensions and horizons for what is absent from the recipient .

Absence is one of the poet's means of showing the value of presence through which every person present in one place is absent in another place and vice versa. Absence also formed a characteristic of poets in the Umayyad era and became one of the prominent features of poets of antithesis, poets of poetry, and most objects. There is hardly a poem devoid of an element. Absence because it represents loss, clarity, and lack of presence. According to Jarir, absence had symbolic connotations that symbolized the elements of absence in some of the poet's verses. The text carries within it those elements.

DOI: 10.33899/radab.2024.150323.2159, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

غياب المرأة في شعر جرير

خالدة أحمد عابد* نهى محمد عمر**

المستخلص :

يأتي البحث محاولة لرصد ودراسة بعض العناصر التي تحمل في ذاتها دلالات رمزية و فلسفية في شعر جرير ببعض البنى التي كانت دالة على الغياب، بصورة مباشرة بما توحي بالغياب رمزياً او دلالياً؛ لان النص يحمل في طياته عناصر غائبة وأخرى حاضرة واستحضارنا لعناصر النص الشعري الغائبة مهم في فهم العناصر الحاضرة وتذوقها واستيعاب دلالاتها ورموزها التي تفتح ابعاداً وآفاقاً لاستشفاف الغياب.

يُعدُّ الغياب وسيلة من وسائل الشاعر لإظهار قيمة الحضور فكل حاضر في مكان هو غائب في مكان آخر والعكس صحيح، كما شكل الغياب سمة من سمات شعر العصر الأموي النقائض والغزل والاغراض ولا تكاد تخلو قصيدة من عنصر الغياب لأنه يمثل الفقد والبين وعدم الحضور، وهو عند جرير ذو دلالات رمزية يحمل في طياته معاني عميقة.

الكلمات المفتاحية: النصوص، الشاعر، الدلالة.

* قسم اللغة العربية / كلية الاداب / جامعة الموصل/ الموصل – العراق
** قسم اللغة العربية / كلية الاداب / جامعة الموصل / الموصل – العراق

التوطئة :

يمثل الغياب جزءاً من حياة الإنسان ولاسيما الشاعر، فهي ظاهرة طبيعية خبرها الإنسان وجعلها جزءاً من حياته ومن القدم كانت حاضرةً في حياته، و الغائب هو ما لم يذكر في النص ولكن هناك دلالات واشارات تشير وتوحي اليه، فهو مالم يصرح به لذلك فإن الباحث والناقد يقوم بمهمة البحث عنه واستحضاره بالرموز و الاشارات التي توحي بما وراء النص الحاضر لاستنباط الغائب منها واعادة هيكلته وترتيبه وفهمه، ويحتاج ذلك إلى نظرة عميقة للبحث عن ذلك الغائب وفك رموز وشفرات النص واستيعابه وفهمه وبذلك يصبح القارئ بذلك منتجاً للنص كما يرى بارت حين يقول ((عملية استحضار الغائب تفيد تحويل القارئ إلى منتج للنص)) [1] وتحتاج هذه العلمية إلى قراء يجيدون القراءة، ويمدون الجسور بين عناصر الحضور والغياب من أجل الوصول إلى قراءة واعية وفاعلة، وللكلمة دورها الفاعل ولها عدة ايحاءات في النص وفي السياق وتختفي وراءها إشارات ودلالات ((فالكلمة لا تكون وحدها أبداً))[2] كما يقول دي سوسور، فالمرحلة الأولى لفهم الغياب تفسير النص الادبي واستخراج معانيه ورموزه ومقاصده، فقد يغيب الموضوع الأساسي للنص تحت مظلة رمز معين ومنه نستنبط الموضوع.

إنّ لغياب المرأة عند جرير حضوراً، فالمرأة تستحوذ على ذاكرة الشاعر وتفوح من ذكراها رائحة الألم وهذيان الفقد، ويتواصل في غيابها وفقدها ويرتجف وجدانه المأ عند ذكرها ويعتصر قلبه قهراً على فراقها، فهي الملهم له على مر العصور، وشكّل غيابها عذاباً نفسياً فنراه يعود إلى الماضي ليستحضر ذكريات الفقد، والأحلام الضائعة، فالتذكر لدى الشاعر هو مادة الاسترجاع ((فاستذكار الماضي يعمل على إعادة توازن الذات))[3] ويقترن الغياب عند جرير بالحب والطلل، فما وقوف الشاعر أمام الطلل إلا في حقيقته وقوف أمام غياب الأحبة ومن كان يسكن الطلل هو السبب الأساسي في الوقفة الطلية، وتلتقي صورة المرأة في هذا العصر مع صورتها في العصر الجاهلي ويقترن جمالها بتأثيرها على نفس الرجل , حيث الألم الشديد لفراقها وغيابها، وذلك الألم الذي يصل إلى حد البكاء.

كان للرقابة من قبل الاهل والقبيلة الدور الكبير في الغياب فهي ((العامل المشوه لأرواح الشعراء الذين صدقوا واقعهم وأرواحهم))[4] فالقهر والتسلط والعادات والقيم المفروضة آنذاك هي التي تجعل الأفراد قسراً او طوعية يقبلون الوضع الاجتماعي المفروض عليهم فهو تراث شعوري لدى العرب[5]، فنرى الشاعر بث لواعج الشوق، ولذعات الحرمان، وألم الفراق للحبيبة وهجرها وصدودها له، بسبب تلك العادات والتقاليد في المجتمع، فالرقيب في كل زمان ومكان كانا مصدر قلق ومعاناة ومكايدة للشاعر[6] , وقيمة الزمن لدى الشاعر مرتبطة بالحبيبة فلا قيمة للدهر دون لقائها، ووصلها ورؤيتها.

إن الانسان حين يعجز عن تحقيق أمانيه في اللقاء، ويعي جيداً أنَّ ذلك مستحيل الحصول ولا يستطيع دفعه ما لم يلجأ إلى التأقلم مع ذلك الألم فيتحول إلى واقع معاش فيستسلم له ويتعايش معه ((فالحب عندما ينتهي إلى الغياب والفراق يكون الألم اللذيذ والحزن المستعذب))[7] فيصبح ذلك الواقع انيساً وصاحباً، فيصور ذلك الواقع ويعكسه على شعره, وليس اليأس سوى اعتراف صريح من جانب الارادة الإنسانية بأنها لم تعد تملك القدرة ما تستطيع معه مواجهة الظروف الخارجية والتغلب عليها، وجاء البحث متضمناً ثلاثة محاور هي، غياب الزوجة وأثرها على الشاعر ونفسيته المتألمة لفقدها، وغياب الحبيبة فيكابد الشاعر صدّها وهجرانها له، ثم غياب الظعن وأثره على الشاعر، مع ذكر الابيات التي تحدثت عن ذلك الغياب.

- انواع الغياب في شعر جرير

١- غياب الزوجة :

---

(1) النص الغائب نظرياً و تطبيقاً ، د.احمد الزغبي ، مكتبة الكتابي ، إربد ، الأردن ١٩٩٣، نقلاً عن الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي ، جدة ١٩٨٥:٨٢.

(2) في أصول الخطاب النقدي الجديد ، ت: أحمد المديني ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ١٩٨٧ : ١٠٣.

(3) الزمن في سعر تميم بن مقبل ، الطالبة فنن نديم دحام (آل بليش) ، أُطروحة دكتوراه ، إشراف : أ.م.د. علي حسين التمر كلية التربية ، قسم اللغة، جامعة ،الموصل،٢٠١٢:٥٤ .

(4) اللذة والألم في الغزل العذري في العصر الأموي، للطالبة : لقاء طلال محمد محجوب ، رسالة ماجيستير في اللغة العربية الأدب العربي إشراف : أ.م.د.ايمان خليفة حامد الحيالي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م:١٤٤.

(5) ينظر - علم الاجتماع الادبي ، انور عبد الحميد موسى، دار النهضة العربية : ١٤٣ – ١٢٥.

(6) ينظر اللذة والالم في الغزل الاندلسي حتى نهاية عصر الخلافة ، رسالة ماجستير لمحمد عادل جاسم ، كلية التربية، ابن راشد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٢ : ١٠٩.

(7) وحده القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، حياة جاسم ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٩٨٦ : ١٩٤.

شكل غياب الزوجة عند الشاعر جرير مساحة في شعره فقد سبب موت زوجته أُم حرزة اثراً كبيراً استحوذ على قلبه , فاطلق العنان لرسم صورة تلك المعاناة، ووحشة الغياب، وألم الفقد، ليكسر بذلك حاجز العادات والتقاليد التي كانت تعيب على الزوج رثاء زوجته والبكاء عليها، الأمر الذي لم يألفه الشعراء في العصر الأموي ولا العصور التي سبقته, فأصبحت تلك سُنّة سار عليها من بعده الشعراء، وتعدُّ مرثيته هذه من عيون المراثي التي تعبر عن حبه الكبير لزوجته وشغفه بها وشدة تولعه لفقدانها متحسراً عليها، بعد أن أصبح كبيراً في السن، وتملكه شعور بالضعف بعد غيابها وموتها، لا سيما انها تركت له ابناءً صغار السن حرموا من حنانها وعطفها واموتها قائلا في غيابها في اللحد[1]:

(من الكامل)

وَلَقَـــد نَظَـــرتُ وَمـــا تَمَتَّـــعُ نَظـــرَة ... فـــي اللَحـــدِ حَيـــثُ تَمَكَّـــنَ الحفـــارُ

كـــانَ الخَلـــيطُ هُـــمُ الخَلـــيطَ فَأَصـــبَحوا ... مُتَبَـــــدِّلينَ وَبِالـــــدِيارِ دِيـــــارُ

لا يُلبِـــــثُ القُرَنـــــاءَ أَن يَتَفَرَّقـــــوا ... ولَيـــــلٌ يَكُـــــرُّ عَلَـــــيهِمُ وَنَهـــــارُ

أَفَـــأَمَّ حَـــزرَةَ يـــا فَـــرَزدَقُ عِبـــتُم ... غَضِـــبَ المَليـــكُ عَلَـــيكُمُ القَهّـــارُ

كانَـــت إِذا هَجَـــرَ الحَليـــلُ فِراشَـــها ... خُـــزِنَ الحَـــديثُ وَعَفّـــتِ الأَســـرارُ

يفتقد الشاعر زوجته الغائبة، وكانت نظرته الأخيرة إليها وهي في اللحد حين وُريت الثرى وتم دفنها، فهي غائبة جسداً حاضرة قلباً ووجداناً، يصور وفاؤه خلقها وهدوءها بدموعه الجارية وحسراته عليها،

إنَّ المرأة لم تعد ((وسيلة لغايات دنيوية فقط، بل أصبحت غاية بحد ذاتها، فهي غاية لغايات فاضلة كالسكن والامن والراحة والطمأنينة والرحمة والذرية الصالحة))[2] وبفقدانها يفقد كل تلك الأشياء مجتمعة، فلا اهل يبقون طالما الموت يغيبهم ويفرق بينهم، واستعمل الشاعر التكرار بلفظتي (الخليط - والديار) فلا أَهل ولا ديار باقون لأنّ الغياب مصيرهم، وهو ديدن الحياة ومستمر باستمرارها، وجاء التكرار ليؤكد فكرة الفقد ويسلط الضوء عليها ويكشف عن اهتمام الشاعر بها لأنه من ((اهم مظاهر الخطاب الادبي التي تعدُّ من ابرز الظواهر الفنية والاسلوبية التي تبين لنا ابعاداً دلالية وفنية تحفز المتلقي للنظر والبحث في دلالات القصيدة ومراميها))[3] , فالموتُ يفرق بين الأزواج ليلاً ونهاراً معبراً عن تلك الفكرة بالتضاد, وهما لفظتان استخدمهما كنايةً عن الدهر الذي يمثل سلسلة زمنية متتابعة فكل ((يوم ينتهي الليل منه فيولد فيه يوم جديد عن طريق الصبح، فهو يمثل سلسلة زمنية مترابطة تعبر عن الماضي والحاضر والمستقبل، الذي يستطيع القراء توظيفه عند إنتهاء مرحلة أو بدء مرحلة حديدة))[4] ويعلم الشاعر أنّ لا جدوى من عودة الغائب الميت، واشد ما يصل اليه الشاعر من درجة الألم والعذاب الشديدين عند فقد زوجته، فلا يفتأ يتذكرها ويشق على نفسه ذلك الغياب الذي لا دواء له((فالفقد ليس مجرد فراق يرجى بعده لقاء، وإنما هو فراق ابدي لا لقاء بعده))[5]، ويلوم الشاعر الفرزدق لأنه عابها ويذكره بان الله القهار غاضب عليه لسوء صنيعته، ويثني عليها وعلى عفتها فهي خزانة الأسرار وحافظة لسر زوجها ولا تفشيه ولا تتحدث عنه بريبة، وهي محصنة حتى إن هجر فراشها فكانت هذه الابيات معبره عن تجربته، ومعاناته النفسية من الفقد، وما حركة الزمن إلا انبثاق لتلك المعاناة الوجدانية، التي جعلته يشعر بتباطؤ الزمن الحاضر وسرعة حركته نحو الماضي الذي تختزله الذاكرة فغياب المرأة ينفي سرور وبهجة في الحياة.

2- غياب الحبيبة :

يرتبط حب المرأة بالألم والحرمان الذي يكابده الشاعر في حضورها أو غيابها بل كان للغياب والصّد والهجران عظيم الأثر في نفسه، فنراه دائم التحدث عن البين والفراق وذرف الدموع وتمني طلب السؤال ,وهذا الفراق هو ديدن الأَحباب ((وترتبط تجربة الحب

---

[1] ديوان جرير ، شرح وضبط نصوصه د.عمر فاروق الطباع، دار الارقم ، ط١،دمشق، ١٩٩٧ : ١٨٣ – ١٨٤.

[2] ينظر - المرأة في شعراء صدر الإسلام الوجه و الوجه الآخر ، حسين عبد الحليل يوسف ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٦ : ١٠٠.

[3] جماليات التكرار ودورة في بناء النص الشعري، عرجون محمد هادي ، مقالة الكترونية ٢٣/٥/٢٠٢١ ، ديوان العرب www.diwanalarab.com.

[4] بنية التضادي في شعر ابن حمديس، دراسة اسلوبية ، أُطروحة دكتوراه، تأليف فاتن طه احمد الحاج يونس ، إشراف الدكتورة بسمة محفوظ البيك ، كلية التربية ، جامعة الموصل ٢٠١٢:٥٨.

[5] المرأة في شعراء صدر الإسلام الوجه والوجه الآخر : ١٣٤ .

والحزن والألم والاحساس بالفقد فالسعادة حزين الماضي والمحبوبة بعيدة دائماً لذلك فان الحديث عن الحب والمحبوبة يقترن بالحسرة))[1] فتجربة الحب عند الشاعر تمتزج بالمرأة وألم فراقها وغيابها ولوم العذال على ذلك الفراق الذي شيّبَهُ فيقول[2]:

(من الطويل)

أَلا حَـــيِّ رَبعـــاً بِـــاللَوى ذَكَّـــرَ العَهَـــدا ... مَحَتـــهُ الصَـــبا جَـــرَّ اليَمانِيَّـــةِ البُـــردا

لِهِنـــدٍ وَلَـــو أَنَّ المُقيمـــينَ بَعـــدَها ... أَرادوا فِراقـــاً لَـــم أَجِـــد لَهُـــم فَقـــدا

فَيـــا أَيُّهـــا العُـــذّالُ إِنَّ مَلامَتـــي ... تَزيـــدُ إِذا مـــا لُمتُمـــوني بِهـــا وَجـــدا

يُعيـــبُ الغَـــواني شَـــيبَ رَأسِـــيَ بَعـــدَما ... يَفَـــرِّقنَ بِالمِـــدراةِ داجِيَـــةِ جَعْـــدا

يبدأ الشاعر قصيدته محيياً الربع الذين كانوا يقيمون في اللوى، والربع هي الدار وما حولها ويذكر الشاعر آثار تلك الديار ويشبهها بالثوب اليماني المخطط ذاكراً هنداً و رحيلها فهو يفتقدها ولا يفتقد غيرها من الراحلين، فلا مكانة لهم في قلبه كمكانتها، ويخاطب العذال الذين كانوا يلومونه باستمرار وهو يجد في ذلك اللوم دافعاً كبيراً لزيادة وجده واشتياقه لها، موظفاً النداء بـ(يا أيها) تذكيراً لهم واهتماماً بهم[3] ، لجلب الانتباه ايضاً بانه يمنعهم بالنداء دون غيرهم متعجباً من لومهم له فهم لا يعلمون ((ان نأي الدار (البعد) والغياب يثير الرغبة في القرب))[4]، ويزيد من تعلقه وحبه لها ، و يرتبط الشيب بتجربة الشاعر مع المرأة، فهو يذكر أن الغواني يعيبون عليه ظهور الشيب في رأسه ,والشيب، دلالة على رحيل الشباب, وكأنما أراد بذكره للشيب ان رحيل الشباب وغيابه، هو رحيل المحبوبة عنه وغيابها، فهو لم يكتفِ بذلك بل راح يصور الغياب بالمتلازمات الحسية بالسيف المفارق لغمده قائلاً:[5] **(من الطويل)**

فَكَيْـــفَ تَقُـــولُ السَّـــيْفُ يَحْمِـــلُ نَصْـــلَهُ ... إِذَا فَـــارَقَ السَّـــيْفِ الْمَحَامِـــلُ وَالْغِمْـــدَا

شَـــكَوْنَا إِلـــى ســـعدَى جَـــوَىً وصَـــبَابَة ... وَمَـــا كُـــلُّ مَـــا فِـــي الـــنَّفْسِ تَخْبُـــرهُ ســـعدَى

إِذَا قَـــالِ حَادِينَـــا جَهَـــدْتُم فَعَرِّسُـــوا ... تَمُطِّـــينَ حَتَّـــى زِدْنَ حَادِيَنَـــا جَهْـــدا

أرادَ الشاعر أن يُفصح عن حاله وحيرته و حرمانه الشديدين بالاستفهام بـ(كيف) وهو يقول :((كيف يحمل نصل السيف اذا فارق السيف محمله، وهو يومئ بذلك إلى أن فراق الإنسان قومه يجعله كالسيف الذي لا حمائل له فلا ينتفع به))[6] ، فما ذكره كناية عن حالة الفراق التي يمر بها الشاعر واحساس يكشف عن الهول من رحيل المحبوبة سُعدى التي يذكرها في حالة الدهشة من رحيلها المصحوب بالألم، فهو يشكو إليها آلام الشوق والحنين الشديدين وهذه المشاعر هي من أقسى ما يمر به الشاعر فهي مشاعر تمتزج بأحاسيسه وتكتسي بعواطفه التي يعجز عن ان يصرح بها كلها ومن ثم يذكر الشاعر صورة القافلة وحاديها فهو اذا ما أراد أن يحط رحاله في أرض للراحة كانت النساء تتعمد تأخيره إلى الليل فهو يشكو من فعلتها وتعمدهُنّ ذلك.

3- غياب الظعن :

يدور الحديث في مقدمات الظعن عن الرحيل واستعداد القوم له ثم متابعة تلك الرحلة في الصحراء وتشخيص مواضيعها، و يأتي الحديث عن هذا الموضوع بعد الوقوف على الطلل وقد يفتتح الشاعر به قصيدته، وهو ذو دلالات تعبر عن مقاصد وحاجات جوهرية في نفس الشاعر وهو تعبير عن خيبة الأمل في حبه من غاب وارتحل عنه، ومن ناحية أخرى يعبر فيه عن تجسيد جمال المرأة و المبالغة في رسم تفاصيلها[7] وتلك رحلة غياب للمرأة التي في الظعن فيدور الحديث كله عنها، وأساس الوقوف على الطلل هو رحيل الحبيبة و اكتواء

---

[1] المصدر ذاته :١٢٥.
[2] ديوانه : ١٣٧.
[3] ينظر ـ أهل الحديث والاثر، محمد صالح ابن عثيمين ، ٢٠٠٦، موقع الكتروني www.alathar.net.
[4] وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، حياة جاسم ،دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٦:١٩٤.
[5] ديوانه : ١٣٨.
[6] ديوانه ١٣٨ الهامش.
[7] ينظر ـ ملامح الرمز في الغزل العربي القديم : ٢٧٠.

الشاعر ببعدها عنه وتبدل المكان واستحالته إلى اثرٍ او طللٍ[1] وكل لوحات الطلل إنما هي استذكار للغياب، فهو يثير الوجع ويشي بمرارة الفقد والحرمان، فالغياب هو مجاز يتهدل من قمقم ذاكرة افتراضية ينساب ويتشعب كأرخبيل لغوي يستدرك مسافات الواقع من شجاعات خذلته، والهودج صوت لعفة القبائل وكرامة الجمال وكبرياء العروبة، وراية الشرف في معارك الفرسان، لذلك كان لغيابه مكانة عظيمة لا يفرط بها الشاعر فنراه يؤجج اللغة التي تتحول إلى فوهة تنبجس منها حمم المكبوت النفسي في غليان إبداعي قوامه الغزل والوصف ويعوضه عن حرمانه الذي يحوله إلى فقدٍ وهو يعبر عن إحساسه في مخدع اللغة التي وراءها ليكشف المعنى في إطار تلك الرحلة[2] وغياب من كان فيها فالمرأة بالنسبة للشاعر الوطن الذي يلجأ اليه والحضن الدافئ وملاذه ومسكنه وهدوء له ، والعربي ((لم يفكر في الجمال انما انفعل بصورة خاصة بما يستقبل بالعين فكان رائعاً او بالفم فكان لذيذاً او باليد فكان ناعماً))[3]، فهي منال الشاعر وحاجته التي يزيدها، فيوغل في بث احزانه لغيابها والتحسر عليها، وما ارتحالها عنه الا رمز للحرمان الذي يحسه الشاعر [4] والملاحظ أن صورة الظعن تنهض على ((أرضية تراثية في بيئتها الخارجية، فقد تحتوي النموذج الجاهلي و تشكيله الشعري، ولكن المضامين الكامنة في مشهد الظعن الإسلامي الأموي لم يساير النموذج الجاهلي بتفاصيله، لان للواقع الجديد اثره الفاعل في تبديل هذه المضامين استجابة لتبدل الحياة وانسجاماً مع الظرف النفسي للشعراء))[5] وجرير في غزله وذكره لغياب المحبوبة يذكرنا بالشاعر العذري الذي كان ((يؤمل النفس دوماً بالحصول على محبوبته ولكنه في الوقت ذاته يصطنع جميع العراقيل الممكنة لتحول بينه وبين امتلاكها))[6] فللغياب لذته على الرغم من ألمه عنده فيجد الطاقة في بث مشاعره وتصوير آلام ذلك الغياب، فاللذة في الشوق لا في الوصال وهي تولد في نفسه أعنف المشاعر واعذب الاحاسيس، لأنه يستمتع بذلك الألم والحرمان[7].

ويمثل الظعن عن الشاعر الغياب وذلك لأنهُ مكتوٍ بنارِ الفقد والبين لمن في الظعن فقد توسلت الرحلة طقساً مجازياً تستحثه المخيلة والحلم معاً لاستجلاء مكنونات المشحون العاطفي والنفسي لدى الشعراء ولاسيما فيما يتعلق بوصف غيابها ولواعج الحنين والفراق واللوعة والصبابة تجاهها[8] ولهذا الموضوع حضور عند الشاعر فيقول[9]:

(من البسيط)

إنَّ الفُـــؤادَ مَـــعَ الظُعـــنِ الّتـــي بَكَـــرَت ... مِـــن ذي طُلـــوحٍ وَحالَـــت دونَهـــا البُصَـــرُ

قـــالوا لَعَلّـــكَ مَحـــزونٌ فُقُلـــتُ لَهُـــم ... خَلّـــوا المَلامَـــةَ لا شَـــكوى وَلا عِـــذَرُ

إنَّ الخَلـــيطَ أَجَـــدَّ البَـــينَ يَـــومَ غَـــدَوا ... مِـــن دارَةِ الجَـــأبِ لِإصـــعادٍ وَمـــا اِنحَـــدَروا

إن الحنين إلى الأظعان هو حنين لغياب من فيها، فقلبه متعلق بها، فقد رحلوا من دون أن يودعهم ذاكراً مواضعهم (ذي الطلوح) متخذاً من الحوار وسيلة لبث احزانه (قالوا، فقلت لهم) والحوار في النص يدل على تفاعله مع من حوله، فحين يعبر الشاعر عن مشاعره وافكاره، لم يكن بمعزل عمّن حوله بل يتفاعل تفاعلاً مباشراً مع المحيط الخارجي والداخلي[10] وهو توظيف أساليب لغوية استند فيها إلى مخاطبة نفسه بالترجي الذي حمل دلالات فيها ألم ووجع اظهرها سياق النص، فكشفت تلك السياقات عن رؤية الظعن بين الغياب والحضور إذ بين الترجي لحظة شعورية وتجربة قاسية هبت بذات الشاعر الأمر الذي يستغرب حدوثه، ويتفاءل باحتمال حدوثها ولعل اسلوب الحوار وما تضمنه من امر ونفي يجعل من المتلقي يشعر بأنه جزء من المتحاورين مع الشاعر لنحس بألم الغياب والحسرة عليه، فالخليط وهم من في الهودج كانوا جادين في البين والفراق وارتحلوا طلباً للمرعى، وهذا يجعل من الشاعر غير مقتنع بذلك لشدة المه، مبتدئاً لوحة الظعن،

---

(1) ينظر مقاله الشعر الجاهلي يستنطق المكان (كيمياء والرحلة في دم القصيدة) لينا ابو بكر صحيفة الخليج الالكترونية ٢٠/٢١٤ ، www.akhalees.ae.

(2) المصدر ذاته.

(3) المرأة عند شعر صدر الاسلام : ١٣.

(4) ينظر ملامح الرمز في الغزل العربي القديم : ٢٧٥.

(5) المصدر السابق ذاته:٢٧٦.

(6) اللذة والالم في الغزل العذري في العصر الأموي: ١١٥.

(7) المصدر ذاته: ١١٧ – ١١٨.

(8) ينظر مقالات الشعر الجاهلي يستنطق المكان (كيمياء الرحلة دم القصيدة لينا بكر .ديوانه : ٢٢٦١.

(9) ديوانه : 226.

(10) فاعلية الفضاء في شعر بن الملوح، رسالة ماجستير ، الطالب واثق شاكر ذنون، اشراف أ.د. نهى محمد عمر الدليمي، كلية الآداب، جامعة الموصل ، ١٤٤٢ هـ ، ٢٠٢٠م ، : ٣٤ نقلاً عن سيكولوجية الجوار في القصيدة الجاهلية، د. ليلي نعيم عطية الخفاجي، مجلة دار الآداب ، ٤٢٢:٢٤.

بالفعل الماضي، ليسترجع رغبةً منه الزمن الماضي وهو في الحاضر، فهو يعيش اللحظة التي غادرت بتكرار الماضي ورده للحاضر[1] , فغاية الشاعر من ذلك سحب الماضي الجميل إلى حاضره الحزين، ((إن رؤية الاظعان وهي تتهيأ للرحيل تثير أحزان الشاعر وبكاءه وصبابته لمن سيغادر، فهو يشعر ان الحياة راحلة عنه، انها لحظة مخاض يعانيها الشاعر، وهو يرى حركة الاظعان المغادرة تحمل معها الحبيبة التي أصبح منالها عسيراً))[2] وأما الظعينة فجمالها هو في حقيقته جمال المرأة الظاعنة فيه، فمحور الظعينة هو الغياب والارتحال والحبيبة هي محور لوحة الظعن، قدّمها الشاعر في إطار فني متميز، وإن قلت في العصر الأموي، وسبب ذلك يعود إلى الاستقرار المدني الذي اتسمت به تلك الحقبة [3]، وقد يقترن ذكر الظعائن بذكر الأصحاب الذين يدور الحوار بينهم وبين الشاعر عن الظعائن، قائلاً [4]:

(من الوافر)

أظاعنـــــةٌ جعـــــادةُ لـــــمْ تـــــودعْ ... أحـــــبُّ الظـــــاعنينَ ومـــــنْ أقامـــــا

قلـــــتُ لصـــــحبتي وهـــــمُ عجـــــالٌ ... بِـــــذي بَقَـــــرٍ ألا عُوجُـــــوا السّـــــلامَا

صِـــــلُوا كَنَفـــــي الغَـــــدَاةَ وَشَـــــيّعُوني ... فـــــانَّ علـــــيكمُ منـــــيَّ زمامـــــا

فَقَـــــالوا مَـــــا تَعُـــــوجُ بِنَـــــا لِشَـــــيء ... إذا لـــــــمْ تلقهـــــــمْ إلاّ لمامـــــــا

يستفهم الشاعر عن رحيل قبيلة جعادة، ويبين سبب السؤال عنها؛ لأنه لا يحب الظاعنين، ولعل توظيفه للاستفهام يرجع إلى التعبيرية عن المعاني البليغة التي تخرج إليها يكون ابلغ منه بالإخبار بشكل مباشر، لما له من قدرة على توصيل المعاني[5] وتبدو الرقة في الأبيات واضحة لا سيما في قوله :((احب الظاعنين ومن اقاما)) إذ تصطبغ بسلاسة التعبير والسرد القصصي، والحوار الذي وظفه الشاعر في اسلوبه الحواري (فقلت، فقالوا), لأنه أبرز فاعلية في الشعر مما يجعلنا نشعر كأن الأبيات تدب فيها الحياة، وان شخصياتها هم من أدار ذلك الحوار معه، ويطلب الشاعر من أصحابه الانعطاف إلى الديار (ذي بقر) على الرغم انهم عجالى إلا أنّ زمام الأمور والقيادة بيده والدليل قوله (عليكم مني زماما) كناية عن قيادته لهم واستعمال الشاعر لكلمة صحبي، هو تقليد للشعراء الجاهلين؛ لان طبيعة حياتهم بحاجة اليه[6]، ويأمرهم بالانعطاف للديار بقوله أيضا (صلوا كنفي) يؤكد أن خطابه ليس لصاحب بل لأصحاب منهم جمع وهو قائدهم، فيحاورهم ويردون عليه بانه لا جدوى ترجى من الانعطاف للديار فهو عناء لا طائل منه، ولا يمكن اغفال شعرية حرف الروي الميم مع الالف المطلقة الذي كان منسجماً ومعاني الأبيات، كثيراً ما كان الشاعر يعبر عن آلام الفقد والغياب ملقياً اللوم على الدهر ويجعله من أَسباب غياب من يحب قائلاً [7]:

(من البسيط)

كَيـــفَ التَلاقـــي وَلا بِـــالقَيظِ مَحضَـــرُكُم ... مِـــنّا قَـــريبٌ وَلا مَـــبداكِ مَـــبدانا

مـــا أَحـــدَثَ الـــدَهرُ مِمّـــا تَعلَمـــينَ لَكُـــم ... لِلحَبـــلِ صُـــرماً وَلا لِلعَهـــدِ نِســـيانا

ويقول :

يـــا رُبَّ غابِطِنـــا لـــو كـــانَ يَطلُـــبُكمْ ... لاقَـــى مُباعَـــدَةً مِـــنكُم وحِرْمانـــا

---

[1] منتظر المصدر السابق نفسه : ٦٣-٦٤.

[2] الرؤية في شعر ذي الرقة، د.آن تحسين الجلبي ، دار ومكتب بسام ، العراق , الموصل :١٢٤.

[3] ينظر ملامح الرمز في الغزل العربي القديم ٣٣٥-٣٣٧.

[4] ديوان جرير :٤١٠.

[5] اسلوب الاستفهام في شعر عنترة بن شداد ، رسالة ماجستير ، عمر عبد المعطى عبد الوالي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الطفيلة الفنية ، جامعة بابل للعلوم الانسانية مج ، ٢٢، ٦٤، ٢١٤: ١٣٤٤

[6] ينظر الاسلام والشعر ، د. سامي مكي العاني،عالم المعرفة ، اغسطس ١٩٩٦:١٩٩.

[7] ديوان جرير : ٤٧٨-٤٧٩.

لَمّـــا تَبَيَّنـــتُ أَن قَـــد حيـــلَ دونَهُـــمُ ظَلّـــت عَســـاكِرُ مِثـــلُ المَـــوتِ تَغشـــانا

يستعير الشاعر للبعد والغياب مفردات من مجالات عدة للتعبير عن محبوبته الغائبة جسداً عنه والثاني نفسيته المتعبة، وبما أن جرير، ذو اتجاه عذري في ابياته فقد أعطى الظاهرة الحسية معاني تسمو إلى أبعاد نفسية ، فهو يصف عواطفه المتأججة في صدره[1] ويعرب عن ملذاته المكبوتة بإدراكه أو إحساسه بالمعايير الجمالية التي تخلق له الإبداع الجمالي في القول والتعبير عن قيم الجمال[2]، فهو يعبر عن الم الغياب بنزعة حسية مثل الشعراء العذريين واصفاً اللوم على الدهر الذي كان سبباً لانقطاع حبل الوصل والنسيان ويمضي الشاعر في ذكر الهجر والصد منها إلى أن يئس من لقياها ؛ لأنه حيل بينه وبينها من أن يراها كأنما هناك عساكر شبهها بالموت حالت دون اللقاء ، فكانت سبباً للهجر والصد والبعاد ، فهو يعيش صراعاً نفسياً بين النفس والغياب وملذاته ، وبين ذاته و دواخل النفس، وقد أضفى تكرار (حرف النون) جوا في الموسيقى الداخلية فقد أوحى ((بالحركة من الداخل إلى الخارج وهو الانبثاق))[3] ولها ملحظ دلالي وبعد نفسي يتناسب وأجواء القصيدة إذْ إنّ ((النون أصلح الاصوات قاطبة للتعبير عن الالم والخشوع))[4] ، فالبنى الشعرية غلبت عليها الحركة وانبثقت منها دلالة الالم والخشوع لتكون أكثر شعرية وفاعلية في النص فهو دائم التعبير عن مرارة الفقد والغياب ويلقى اللوم على الدهر الذي لطالما كان سبباً في التفريق بين المحبين ، فكان يفجعهم بالفراق ويصب عليهم من كوارثه ليكون سببا في الغياب فقد ((اغتالت يد الزمان ذلك العيش ، فتحول نعيمهُ إلى بؤس لم يكن بينها صحبة وجودة فيا مضى .. وهو يستعيد ماضي ذكرياته التي تنتحب نفسه ألماً على ما انقضى[5])) ,فهو يحسن مرة ويسيء مرات لأنهُ دائم التفريق وإفساد اية مودة بين المحبين فالدهر لا يؤتمن.

النتائج :

-إنّ غياب المرأة على انواع منه غياب الزوجة وغياب الحبيبة و غياب الطعن او الهودج، وكان الشاعر يلقي لومه على الدهر ويعده من اسباب الغياب ويلومه على ذلك و رأى ان الشيب من اسباب الغياب لديه فكان يقرنه بحديثه عن غياب المرأة.

- شكل غياب الظعن حضوراً في نصوصه وربطه بالغياب والطلل؛ لأنه يدور حول الرحيل وخيبة الأمل في حب من غاب وارتحل وكان مجالاً لذكر جمال المرأة وتفاصيله، اعتمد لوحة الظعن تعبيراً عن آلام الفقد والغياب وكذلك ملقياً اللوم على الدهر الذي كثيرا ما ذكره مع الظعن والحبيبة عبّر به عن صراع الشاعر النفسي تجاه ذلك الفقد .

References:

1. Ahl al-Hadith and al-Atar, Muhammad Salih Ibn Uthaymeen, 2006, website: www.alat har.net .
2. Articles on pre-Islamic poetry applied to writing (chemistry and the journey in the blood of the poem), Lina Abu Bakr, Al-Khaleej Electronic Newspaper 214/20, www.akhalees.ae .
3. Characteristics of Arabic letters and their meanings, Hassan Abbas, Arab Writers Union Publications, ed. 1998.
4. Features of the symbol in ancient Arabic poetry, with a study of the structure of the text and its artistic connotations, Prof. Dr. Hassan Jabbar Muhammad Shamsi, Dar Al-Sayyab, London, 2008.
5. Islam and poetry, Dr. Sami Makki Al-Ani, The World of Knowledge, August 1996
6. Jamil Buthaina and virginal love, Dr. Hristo Negm, presented by Dr. Yassin Al-Ayoui, Dar Al-Raed Al-Arabi, Lebanon - Beirut 1982.
7. Jarir's Diwan, explanation and setting of its texts by Dr. Omar Farouk Al-Tabbaa, Dar Al-Arqam, 1st edition, Damascus, 1997.

---

(1) ينظر - جميل بثينة والحب العذري، د. فرسيتو نجم ، قدم له الدكتور ياسين الايوي ، دار الرائد العربي ، لبنان - بيروت ١٩٨٢:٢٢٧.
(2) جمال المرأة عند العرب ، د. صلاح الدين المنجد ، بيروت ١٩٥٧:٦٥.
(3) خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب د.ط ١٩٩٨:١٦١.
(4) المصدر السابق ذاته :١٦.
(5) اللذة والألم في الغزل العذري في العصر الأموي : ١٤٩.

8. Literary Sociology, Anwar Abdel Hamid Musa, Dar Al Nahda Al Arabiya.
9. Love and Sadness among the Four Virgin Poets, Ali Rasoul Kazem, Dar Al-Mantouqa, Babylon website, university theses, master's thesis, website: www.mand mah.com .
10. On the Principles of the New Critical Discourse, published by: Ahmed Al-Madini, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1987.
11. Pleasure and pain in virginal flirtation in the Umayyad era, by the student: Liqaa Talal Muhammad Mahjouba, Master's thesis in the Arabic language and Arabic literature, supervised by: Prof. Iman Khalifa Hamid Al-Hayali, College of Education for Human Sciences, University of Mosul, 1440 AH - 2019 AD.
12. Sin and thinking from structural to anatomical, Abdullah Al-Ghadhami in The Prophet on Legitimacy, Literary Club, Jeddah 1985.
13. The absent text in theory and practice, Dr. Ahmed Al-Zoghbi, Al-Kitabi Library, Irbid, Jordan 1993, quoted from Sin and Atonement, Abdullah Al-Ghadhami, From Prophetism to Sharia, Literary Club, Jeddah 1985.
14. The aesthetics of repetition and a cycle in constructing the poetic text, Arjun Muhammad Hadi, electronic article 5/23/2021, Diwan Al-Arab www.diwanalarab.com .
15. The beauty of women among Arabs, Dr. Salah al-Din al-Munajjid, Beirut 1957.
16. The effectiveness of space in the poetry of Bin Al-Malouh, Master's thesis, student Wathiq Shaker Thanoun, supervised by Prof. Dr. Noha Muhammad Omar Al-Dulaimi, College of Arts, University of Mosul, 1442 AH, 2020 AD,: 34, citing the psychology of neighborhood in the pre-Islamic poem, Dr. Laila Yanaam Attia Al-Khafaji, Dar Al-Adab Magazine.
17. The interrogative style in the poetry of Antara bin Shaddad, Master's thesis, Omar Abdel Muti Abdel Wali, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts, Tafila Technical University, Babylon University for the Human Sciences.
18. The only poem in Arabic poetry until the end of the Abbasid era, Hayat Jassim, Dar Al-Ulum Printing and Publishing, 1986.
19. The structure of opposition in the poetry of Ka'b bin Zuhair, Faris Ibrahim Ali Al-Sabaawi, Master's thesis, supervised by: Prof. Dr. Noha Muhammad Omar Al-Dulaimi, College of Arts, University of Mosul, 2022.
20. The Vision in the Poetry of Dhul-Rumah, Dr. Ann Tahseen Al-Chalabi, Bassam House and Office, Mosul, Iraq
21. Time in the poetry of Tamim bin Muqbil, student Fanan Nadim Daham (Al Balish), doctoral thesis, supervised by: Prof. M.D. Ali Hussein Al-Tamer, College of Education, Language Department, University of Mosul, 2012.

22. Women in the Poets of Early Islam: The One Face and the Other Side, Hussein Abdel Halil Youssef, Dar Al Salam for Printing, Publishing and Distribution, 2006.